التـــاريخ القـــديم

التوسع الروماني والمقاومة المغاربية (مقتل بطليموس وردّ فعل الموريين)

أ./ عبد القادر بوعزم

يعتبر القضاء على الدولة القرطاجية سنة 146ق.م، وتأسيس أول مقاطعة رومانية في بلاد المغرب (مقاطعة إفريقيا الرومانية) من أهم مظاهر السياسة التوسعية التي اتبعها الرومان في عالم البحر الأبيض المتوسط، كما يعتبر زوال قرطاجة بمثابة انهيار للجدار الحصين الذي كانت تحتمي خلفه بلاد المغرب التي أصبحت مكشوفة أمام الرومان، فوجد المغاربة أنفسهم وجها لوجه أمام الاستعمار الروماني و أصبحوا يستعملون الأساليب و الوسائل المختلفة للدفاع عن بلادهم [1]. هذه الوسائل و الطرق تجسدت في الحروب و الثورات المسلحة التي خاضها المغاربة في كل الجهات خلال أزمنة مختلفة و التي كان أشهرها الحرب التي خاضها الملك يوغورطة ضد الرومان (111 ق م_ 105 ق م)[2]، ثم الثورة التحريرية التي قام بها الأمير النوميدي هيرباص (82 ق م_ 80 ق م) [3]، و على غرارها كانت محاولة الملك يوبا الأول (60ق م _46 ق م)، الذي استغل الصراع بين القائدين الرومانيين بومبي و قيصر، و قام بمحاولته الاستقلالية التي كان صداها أقوى و أعمق من حركة هيرباص نظرا للدور الذي لعبه هذا الملك في الصراع و النتائج الكبيرة و الخطيرة التي ترتبت عن الانتصار الذي حققه قيصر و موت يوبا الأول سنة 46 ق م و التي يمكن اختصارها في:

1– إلغاء مملكة نوميديا وإعلانها مقاطعة رومانية جديدة، حملت اسم "إفريقيا الرومانية

*أستاذ مكلف بالدروس في التاريخ القديم-قسم التاريخ وعلم الآثار- جامعة وهران.

الجديدة" إلى جانب المقاطعة القديمة التي أصبحت تحمل اسم "مقاطعة إفريقيا الرومانية القديمة".

2-تسليم الجزء الشمالي الغربي من مملكة نوميديا إلى مرتزقة القائد سيتيوس الذي ساعد قيصر، فأقاموا فيه إمارة سميت باسمهم، شملت مدنا مشهورة هي قسنطينة (**Cirta**) وميلة (**Mila**) والقل (**Chullu**) وسكيكدة (**Rusicade**) واستولوا على الأراضي الزراعية المجاورة لهذه المدن[4]، و بهذا يكون قيصر قد أنهى عهدا من مراحل التوسع الروماني في بلاد المغرب استغرق قرنا من الزمن (146 ق م- 46 ق م) وكأنه أراد أن يحتفل بالعيد المئوي للانتصار الروماني على القرطاجيين[5]، وبهذا يمكن اعتبار عصر قيصر فاتحة عصر جديد في تاريخ بلاد المغرب .

لكن المغاربة لم ييأسوا ولم تنهار عزائمهم وظلت روح المقاومة وحب الحرية تدفعهم إلى المزيد من المحاولات وتكرار التجارب لإيقاف التوسع الروماني في بلادهم، وهكذا استغل الأمير النوميدي أربيون[6] بعد اغتيال قيصر سنة 44 ق م فرصة النزاع بين حاكمي المقاطعتين الإفريقيتين القديمة والجديدة وجمع حوله النوميديين وهاجم إمارة مرتزقة سيتيوس وتمكن من القضاء على هذا الأخير في إحدى المعارك، ولكن الرومان وضعوا حدا لنشاطه فاغتالوه عندما تأكدوا من نواياه الوطنية المناهضة للوجود الرومـــاني (43 ق م-40 ق م)[7]، و بعد موت بوغود سنة 38 ق م أصبح بوكوس الثاني حليف أوكتافيوس أغسطس، ملكا على كامل أراضي مملكة موريطانيا من المحيط الأطلسي غربا إلى الوادي الكبير شرقا، وإثر وفاته سنة 33 ق م دون أن يخلف وريثا تم ضم أراضي مملكته وظلت طيلة ثماني سنوات تحت الإدارة العسكرية التابعة لأكتافيوس أغسطس الذي اضطر سنة 25 ق م إلى التراجع عن هذه السياسة فنصب يوبا الثاني [8] ملكا عليها كما جاء في كتابات ديون كاسيوس الذي يقول: "سلم أغسطس إلى يوبا (يوبا الثاني) ممتلكات بوكوس وممتلكات بوغود وجزءا من أراضي جيتوليا تعويضا له عن ممتلكات آبائه التي أصبح جزء كبيرا منها تحت سلطة الإمبراطورية"[9].

ومع بداية العهد الإمبراطوري أصبح التهافت على الأراضي الإفريقية كبيرا، _ خاصة في عهدي أغسطس وتيبير- لقد قام أغسطس بتوحيد المقاطعتين القديمة والجديدة وأصبحتا مقاطعة واحدة- مقاطعة إفريقيا البروقنصلية- وهذا نظرا لانعدام الأمن وكثرة الثورات خاصة في المقاطعة الجديدة، كما قام بتأسيس اثني عشر مستعمرة في أراضي مملكة موريطانيا، ستة على سواحل مملكة بوكوس الثاني السابقة وهي:

جيجل (Igilgili)، بجاية (Saldae) أزفون(Rusazus) دلس(Rusuccuru) قوراية(Gunugu) تنس(Catenae) وثلاثة في الداخل هي: ثكيلات(Tubusuptu)، وحمام ريغة(Aquae Calidae) ومليانة(Zuchabar) كما أسس غرب مملكة بوغود مستعمرات هي : أرزيلة (Zilis)، على سواحل المحيط الأطلسي بين طنجة)و العرائش و بابا(Babba Campastris)، قرب مدينة وازان و باناسا(Valentia Banasa) قرب مدينة القصر الكبير[10].

هذه المستعمرات لم تكن لقدماء المحاربين في جيش أغسطس فقط، بل لكثير من سكان ايطاليا الدين فقدوا أراضيهم خلال الحروب الأهلية، وزيادة على هؤلاء المعمرين كان هناك من دون شك عدد كبير من الأغنياء اللذين أرادوا استثمار أموالهم في الأراضي الإفريقية ذات الخصوبة الكبيرة، واللذين كانت الدولة دائما تسرع للاستجابة إلى رغباتهم وتقوم بتشجيعهم لأن استثمار الأموال في الأراضي الإفريقية الخصبة،تعني كثرة الإنتاج وضمان كميات كبيرة من الحبوب لتمويل مدينة روما، وكما يقال: "أصبح من يستطيع إطعام الرومان والترفيه عنهم يحكمهم، ومن يفشل في ذلك لا يبقى في الحكم يوما واحدا".

هذه الاعتبارات هي التي تساعدنا على فهم سر الجهود الحربية التي بدلها أغسطس ثم تيبر من بعده رغبة منهما في توسيع حدود الممتلكات الرومانية وإسكان الكثيرين من اللذين شاركوا في الهجرة الزراعية الكبرى من ايطاليا بعد نهاية الحرب الأهلية، وقد دعا ذلك إلى حروب طويلة ومستمرة مع السكان الأصليين اللذين قاموا للدفاع عن أراضيهم [11].

لقد أصبحت بلاد المغرب مند سنة 25 ق.م مقسمة إلى وحدتين سياسيتين: مقاطعة إفريقيا البروقنصلية يحكمها حاكم روماني يعينه مجلس الشيوخ برتبة بروقنصل بيده السلطة المدنية والسلطة العسكرية، ومملكة واسعة يحكمها ملك تابع وخاضع لسلطة الإمبراطور، يوفر عناء الحكم المباشر لإقليم عمت فيه الثورات، وكان أهمها ثورة الجيتول (بدأت سنة 3م وانتهت سنة 6م) التي يلخص أسبابها ديون كاسيوس فيما يلي: "بعد غضب الجيتول على سياسة الملك يوبا ورفضهم الخضوع لسلطة الرومان مثله، ثاروا ضده وعاشوا في المناطق المجاورة لإقليمهم فسادا وقتلوا كثيرا من القادة العسكريين الرومان اللذين قادوا المعارك ضدهم، وباختصار زادت قوتهم وعظم شأنهم، حتى هزمهم كورنيليوس كوسوس وأخضعهم، فحصل على شرف النصر ولقب بالجيتولي"[12].

لقد قامت هذه الحرب ضد يوبا الثاني الذي شاركت قواته في القضاء عليها، يظهر هذا من خلال النقود التي ضربها وعليها صورة إلهة النصر في سنتي 06م-07م[13].

وهكذا يمكن القول أن نهاية عهد أغسطس في بلاد المغرب عرفت تحولا عميقا في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والبشرية، لقد انتهت مرحلة السياسة الحذرة التي اتبعتها السلطة الرومانية مند بداية الغزو الروماني وبدأت مرحلة جديدة رسمتها سياسة أغسطس واتبعها خلفاؤه من بعده وهو ما دفع شعوب المنطقة إلىتحضير المقاومة للدفاع عن أراضيهم وهذا ما نلاحظه عندما قام المزالمة بحرب ضد الرومان خلال عهد الإمبراطور تيبر(Tibere) التي دامت أكثر من سبع سنوات (17م-24م) بقيادة تاكفاريناس ومشاركة جيرانهم في الغرب المور بقيادة مازيبا والكنيفيين جيرانهم في الشرق والتي كان سببها الرئيسي هو الدفاع عن أراضيهم عندما حاول الرومان التوسع في إقليمهم [14].

وهذا ما دفع الإمبراطور كاليغولا (37م-41م) بمجرد اعتلائه العرش التفكير في ضم أراضي مملكة موريطانيا لأن تسوية أغسطس لم توضع لتستمر طويلا، مملكة تابعة رغم خضوع ملوكها لم تكن إلا حلا مؤقتا يمكن وضع حد له حين تصبح الأمور أقل خطرا وعندما تصبح الحاجة الاقتصادية ضرورية إلى ذلك، وقد أصبح في نظر الرومان أن

مداخل مملكة موريطانيا في حالة الاستيلاء عليها يمكن أن تساهم في أعباء الدفاع عن حدود الإمبراطورية، لهذا رأى الإمبراطور كاليغولا أن الوقت أصبح مناسبا لإلغاء العرش الموريطاني الصوري وتعويضه بإدارة رومانية تسهر على خدمة مصالح الإمبراطور والشعب الروماني خاصة وأن الملك بطليموس الذي كان يحكم مملكة موريطانيا لم يكن له وريث وبعد التخلص منه يصبح من حق الإمبراطور إرث جميع ثرواته فأراد كاليغولا الذي كان يبحث عن الثروة بأي وسيلة، أن يكون هذا الإمبراطور. و تحضيرا لهذا القرار اتخذ قرارا آخر قبله وهو نزع السلطة العسكرية من يد حاكم مقاطعة إفريقيا البروقنصلية الذي كان يعين من طرف مجلس الشيوخ، وأسندها إلى قائد عسكري خبير بالشؤون الحربية (Legatus) يعينه الإمبراطور ويكون مسؤولا أمامه فقط (سنة 38 أو 39 م)[15].

وهكذا أصبحت قيادة الجيوش الرومانية كلها بيده دون استثناء، وفي سنة 40م قام بقتل الملك بطليموس ابن يوبا الثاني الذي كان أبوه قد أشركه في السلطة ربما منذ سنة 21م حسبما يظهر من خلال قطع نقدية تشير إلى السنة الأولى من حكمه[16] ثم أصبح الملك الوحيد بعد موت أبيه سنة 23م أو بداية سنة 24م حيث أرسل قوات عسكرية كبيرة في هذه السنة لتدعيم قوات حاكم مقاطعة إفريقيا البروقنصلية لسنة 24م كورنيليوس دولابيلا (Cornelius Dolabella) الذي حقق النصر على تاكفاريناس وخلص الرومان من هذه الحرب التي كلفتهم الكثير، وهذا ما دفع مجلس الشيوخ في روما إلى إرسال وفد عنه، حسب عادة قديمة كما يقول تاسيت، ليقدم إلى بطليموس هدايا تتمثل في عصا العاج والعباءة المزركشة (زمر الملكية) ولقب بالملك الحليف والصديق للشعب الروماني [17].

لقد تابع بطليموس سياسة والده يوبا الثاني طيلة فترة حكمه التي دامت حوالي ربع قرن من الزمن (23م-40م) وعمل على تمهيد البلاد وتحضيرها للإستطان الروماني حيث بذل جهودا كبيرة لتجديد الوجه الحضاري للمدن، وتوفير الأمن للجاليات الرومانية المقيمة بها سواء كانوا تجارا أو موظفين، وحماية المستعمرات التي أقيمت من قبل

على أراضي المملكة سواء الساحلية أو الداخلية وتقديم المساعدات العسكرية إلى الرومان كلما اقتضى الأمر ذلك.

لقد ورث عن أبيه ممتلكات كثيرة وأموال كبيرة فانغمس في الترف والبذخ في قصره المليء بالمعتوقين اللذين ترك لهم تسيير شؤون مملكته، رغم كل الخدمات التي قدمها للدولة الرومانية، فإن الإمبراطور كاليغولا قام بقتله سنة 40م في مدينة ليون عندما دعاه إلى حفل أقامه على شرف الملوك الحلفاء والأصدقاء وكان بطليموس من بينهم وبعد استقباله استقبالا لائقا دبر له مؤامرة وقتله، لا لشيء سوى لأنه دخل إلى مكان الحفل يرتدي عباءة براقة فجلب أنظار الحضور كما جاء في كتابات سويتون (Suetone)، وديون كاسيوس(Dion Cassius)[18].

قد تكون الغيرة هي السبب المباشرة في هذا الاغتيال، لكن الدوافع الحقيقية تكمن في أسباب أخرى حاول المؤرخون الحديثون البحث عنها وقد اختلفت آراؤهم وافتراضاهم، فروستوفتراف (M.Rostoutzeff) يرى أن الرومان أصبحوا في حاجة ماسة إلى أراضي جديدة يحلون بها مشاكل الجنود المسرحين وكذلك تمويل الجيوش المحاربة وإطعام سكان مدينة روما[19]. لكن أراضي مملكة موريطانيا كانت في نظر السلطة الرومانية- على الأقل نظريا- قد أصبحت ملكا للدولة الرومانية و الشعب الروماني منذ سنة 33 ق.م وكان من حقهم توزيع الأراضي على مواطنين رومان، وجمع الضرائب عن طريق الملوك اللذين أوكلت لهم هذه المهمة. وتجنيد الفرق العسكرية من السكان الأصليين للدفاع عن الإمبراطورية وتوسيع حدودها، وقد عمل الرومان على تحقيق ذلك كله خلال عهدي أغسطس وتبير عندما كانت موريطانيا تحت حكم يوبا الثاني وابنه بطليموس من بعده لهذا يرى لوفو (Ph.Leveau) عدم إعطاء أهمية كبيرة للطرح الذي يقول بأن روما كانت في حاجة إلى أراضي جديدة في بلاد المغرب لأنها كانت في وضعية قانونية- حسب الشرع الروماني- تسمح لها ضم الأراضي التي تحتاج إليها دون اللجوء إلى قتل ملك حليف وصديق للإستلاء على أراضي مملكته[20]. وهناك من يرى أن

السبب هو التخلص من منافس في الشهرة والثروة وكان الإمبراطور كاليغولا بارعا في التخلص من المنافسين والاستحواذ على ثرواتهم بجميع الوسائل[21].

ويرى بيتي (P.Peti) أن الخلاف كان خلافا دينيا حول رئاسة كهنوت الإلهة إيزيس، وهي مهمة ورثها بطليموس وكان كاليغولا يريد خطفها منه حيث بنى لهذه الإلهة معبدا في ساحة مارس وأدرج أيام الاحتفالات بعبادتها في جدول الاحتفالات الدينية الرومانية[22].

أما كوتولا (T.Kotula) فيرى أن الخلاف الديني لم يكن إلا سببا من بين أسباب الخلافات بين العاهلين ويفترض سببا آخرا لا يقل أهمية عن الأسباب السابقة وهو الخلاف حول المحررين[23].

لكن فور (J.C.Faur) ينتقد هذه الفرضية، ويأتي بأسباب أخرى أهمها محاولة الملك بطليموس الاستقلال عن الإمبراطورية، وذلك عندما صك نقودا ذهبية خلال سنتي 38–39م، أو ربما خوفا من رؤيته يتزعم مؤامرة ضد الإمبراطور ويتولى العرش مكانه أي أن السبب هو التنافس داخل الأسرة بين حفيدين لأنطوان (Antoine) فكاليغولا هو ابن جرمانيكوس (Germanicus) ابن دروسوس (Drussus) وأونطونيا(Antonia) بنت أنطوان (Antoine) وأوكتافيا (Auctavia) أخت أغسطس.

أما بطليموس فهو ابن يوبا الثاني وكليوباترة سيليني بنت أنطوان وكليوباترا ملكة مصر[24]، وهذا يبين أن بطليموس هو كذلك كان ينتسب إلى فئة الطبقة الأرستقراطية الرومانية ومصيره كان لا يختلف عن مصير النبلاء الرومان الآخرين اللذين أعدموا بسبب شهرتهم وظهورهم[25]. كما قال تاسيت: "الذي كان يظهر بثروته ومسكنه وطريقة عيشه، كان معظما ومشهورا، لكن بعد أحداث القتل الفضيعة والاغتيالات الناجمة عن الشهرة، الناجون رجعوا إلى التعقل والحكمة[26]".

ومن خلال هذه الآراء المختلفة نستخلص أن هذه العوامل كلها سواء كانت الشهرة، أو الخلاف الديني، أو الصراع داخل الأسرة الواحدة، أو محاولة الإمبراطور كاليغولا التخلص من الملك بطليموس للاستلاء على ثروته، كل هذه الأسباب دفعت

الرومان، وبخاصة أنصار السياسة التوسعية اللذين كانوا ينادون دائما بإنهاء العرش الموري حتى وإن كان صوريا، فوجد الإمبراطور كاليغولا السبب المباشر عندما اعتبر دخول الملك بطليموس إلى الحفل وهو يرتدي العباءة الفاخرة إهانة له فأمر بقتله وحقق رغبة الرومان الاستعمارية التوسعية. وقد يكون هذا الحفل الذي نظم على شرف الملوك والحلفاء، والأصدقاء، غرضه تنفيذ خطة كان الإمبراطور قد رسمها من قبل، وقتل ملكا أمام أصحاب العظمة والشهرة ليكون عبرة للدين يريدون الظهور بالعظمة والشهرة أكثر من الإمبراطور نفسه.

سكان بلاد المغرب لم ينتظروا طويلا، لقد قام أحد المعتقين اللذين كانوا بدون شك غير راضين على ما قام به الإمبراطور كاليغولا، وجمع حوله الكثيرين من اللذين غضبوا واستاءوا من هذا العمل، وحاول الانتقام لسيده الملك بطليموس المغتال، هذا حسب ما ورد في كتابات بلين[27].

هذا المعتق هو إيديمون الذي كان يعيش في بلاط الملك وينعم بحياة البذخ والطرف وقد يكون من أصل إغريقي كما يظهر من اسمه، أو ربما كان إفريقي الأصل، وهذا الاسم هو اسم الشهرة حمله بعد عتقه، حيث توجد أمثلة كثيرة لأسماء إغريقية حملها عبيد أو معتقون غيروا أسماءهم بعد عتقهم[28].

ويرى لوقلاي (M.Leglay) أن إيديمون تزعم هذه الثورة ضد روما لأنه كان يريد السيطرة على مملكة موريطانيا التي تيقن أنه سوف يحرم من نعيمها، وجمع حوله كل اللذين أصبحت مصالحهم مهددة وشعروا بخطر الإدارة الجديدة [29].

أما بن عبو (M.Benabou) فيذهب إلى أبعد من ذلك، حيث يرى أنه من الواجب البحث عن تفسيرات وأسباب أخرى لا تتوقف عند حد المصالح الشخصية، ويقول: "بأن أيديمون لم يكن في استطاعته القيام بحرب طويلة ومكلفة ضد أكبر قوة عسكرية في ذلك الوقت، لو لم يكن على يقين من مساعدات القبائل المورية، و أن هذه الحرب كانت تعبر عن انشغالات كل اللذين أصبحوا يتطلعون للآفاق المستقبلية، فرأوا في الإدارة الرومانية الجديدة التي سوف تعوض الإدارة الملكية السابقة البعيدة و الخفيفة،

التي كانوا قد تعودوا عليها، إدارة أكثر حدة تتدخل في شؤونهم الخاصة، وتفرض عليهم أنظمة جديدة، لم يتعودوا عليها مثل التدخل في النظام الضريبي وفي حرية التنقل وفي نظامهم الإقتصادي بصفة عامة[30].

وأما حسب رأي لوفو **(Ph.Leveau)** فيجب الأخذ بما جاء في كتابات المؤرخ الروماني بلين **(Pline)** بالحرف الواحد، أي أن دافع أيديمون إلى هذه الثورة هو الانتقام لسيده الملك بطليموس وحالته هذه لا تختلف عن حالات الكثير من المعتقين المخلصين لأسيادهم، لهذا يجب الفصل بين انتفاضته ومحاولته الانتقامية والمقاومة التي قامت بها القبائل المورية المحبة للحرية والدفاع عن أراضيها[31].

قمع الثورة التي قام بها أيديمون كان سريعا، وربما يكون كل شيء قد انتهى قبل مقتل الإمبراطور كاليغولا و مجيء الإمبراطور كلود **(Claude)** أي قبل **24** يناير سنة **41**م. لهذا فثورة أيديمون يجب فصلها وتمييزها بوضوح عن العمليات والحملات العسكرية التي قام بها القائد الروماني سويتونيوس بولينوس**(Suetotius Paulinus)**، ضد القائد الموري صالابوس**(Salabus)** ونطاقها كان بدون شك محدودا لأنه من غير المعقول أن يتزعم أحد المعتقين اللذين كانوا يعيشون في بلاط الملك بطليموس الذي كان يعيش تحت الحماية الرومانية، ثورة مسلحة للدفاع عن حرية وأراضي مملكة موريطانيا[32].

والدليل على ذلك، فإنه لم يجد أنصارا وحلفاء كثيرين حتى في أوساط المعتقين الملكيين جميعا والطبقة الأرستقراطية التي كانت تعيش في المدن لأن بعض هؤلاء إنحاز وساعد السلطة الرومانية الجديدة وحارب ضد أيديمون كما يظهر من نقيشة وجدت في مدينة وليلي **(Volubilis)** والذي جاء فيها أن فاليريوس سيفيروس ابن بوستار**(M.Valerius Severus fils de Bostar)** قاد فرقة عسكرية مورية من الجند المساعد في الحرب ضد أيديمون[33]. وقد حاول كوتولا تفسير وجود موريين مقيمين في المدن إلى جانب الرومان ضد أيديمون لأن أنصاره كانوا يمثلون الحضارة والعادات الإغريقية الشرقية.

أما سكان مدن موريطانيا الغربية فكانوا متأثرين بالحضارة البونيقية[34]. لكن هذا التفسير الغريب يحتاج إلى توضيح أكثر لأنه غير مقنع.

بدون شك مدينة وليلي كانت تربطها علاقات مميزة بالدولة الرومانية ربما كانت مدينة حليفة (Civitas Foederata) ويظهر هذا من خلال حصول الكثيرين من سكانها على المواطنة الرومانية بصفة فردية، ربما مند عهد أغسطس والرومان أعطوا أهمية كبيرة للعلاقات التي كانت تربطهم بهذه المدينة المورية ربما لأسباب عسكرية وإستراتيجية لأن هذه المدينة تقع على مقربة من جبال الأطلس[35].

والمساعدات العسكرية التي قدمها سكان مدينة وليلي وقائدهم، أدت إلى حصول هذه المدينة على عدة امتيازات في عهد الإمبراطور كلود كما يظهر من خلال نص ديون كاسيوس[36]. أن أيدمون هزم وانتهت محاولته الانتقامية في عهد الإمبراطور كليغولا أي بعد بدايتها مباشرة ويفترض دوزانج (J.Desanges) أن مقاومة أيديمون ربما كانت بين ربيع سنة 40م و25 يناير 41م، ولا ندري إن كانت القوات الرومانية التي شاركت في جميع هذه الثورة انطلقت من مقاطعة نوميديا أو جاءت من مقاطعة بيتيكا أو ربما من المقاطعتين معا كما أن القائد العسكري الذي قاد العمليات غير معروف ربما يكون ليكينيوس كراسوس(M.Licinius Crassus Frugi) [37]، ربما حقق الرومان نصرا مؤقتا ويظهر ذلك من خلال احتفالات النصر التي أقامها الإمبراطور كلود سنة 42م هذا النصر الغير مستحق حسب ما يقول ديون كاسيوس بسخرية[38]، والذي يظهر من خلاله أن كلود لم يكن هو الذي حقق هذا النصر الذي كان قبل اعتلائه العرش أي في عهد كاليغولا.

وبعد عودة الهدوء ربما بعد القضاء على أيديمون، قام الرومان بتنظيم البلاد الجديدة، وهذا ما قام به كلود بدون شك منذ سنة 42م حيث قسم أراضي مملكة موريطانيا إلى مقاطعتين يفصل بينهما نهر الملوية[39]، وهذا على غرار التقسيم القديم: مملكة بوغود في الغرب أصبحت أراضيها تشكل مقاطعة موريطانيا الطنجية عاصمتها طنجة في البداية ثم وليلي، ومملكة بوكوس في الشرق أصبحت أراضيها تشكل مقاطعة موريطانيا

القيصرية عاصمتها القيصرية- عاصمة المملكة سابقا- يحكم كل مقاطعة حاكم من طبقة الفرسان برتبة وكيل الإمبراطور(Prorurateur eguestre).

وهذا النظام لم يكن جديدا حيث كان مخصصا للمقاطعات الجديدة التي كانت تكثر فيها الثورات والاضطرابات، وكان الإمبراطور يشرف على إدارتها مباشرة، ومن حقه تعيين حاكم واحد على المقاطعتين في آن واحد أو يسلم السلطة العسكرية إلى حاكم المقاطعة فيسمى Procurator prolegato والحاكم بهذه الرتبة يقود جيشا من فيالق الكتائب العسكرية.

وهذا ما يدل أن الحرب لم تتوقف بل امتد نطاقها وزادت حدتها هذا ما دفع الإمبراطور كلود حسب ما يقول كانيا (R.Cagnat) إلى الاستعانة بفيالق عسكرية من جند الكتائب جاءت من أسبانيا[40]. وقد عاقب حاكم مقاطعة بيتيكا الذي تهاون في إيصال الإمدادات إلى هذه الجيوش وخاصة الحبوب اللازمة[41]، وقد اضطر القائد العسكري الروماني سويتونيوس باولينوس (C.Suetonius Paulinus) الذي كلف بقيادة العمليات العسكرية سنة 42م إلى ملاحقة الجيوش المورية إلى غاية جبال الأطلس، وفي مرة أخرى إلى غاية نهر يسمى "نهر غير"[42].

ودائما حسب ديون كاسيوس فإن القائد هوزيديوس جيتا (Gn.Hosidius Geta)هو الذي تولى القيادة سنة 42م وكانت مهمته قيادة الحرب ضد قائد موري جديد هو صالابوس(Salabus) واضطر إلى ملاحقته حتى الصحراء ربما كذلك مناطق جبال الأطلس [43] هذه الإشارات رغم عدم وضوحها كلها هامة جدا لأنها تدل على اتساع نطاق المقاومة ورفض كل القبائل المورية سواء في الشمال أو الجنوب الدخول تحت السلطة الرومانية وقامت تدافع عن أراضيها بكل ما أوتيت من قوة.

وهذه الحملات العسكرية كانت خلال سنوات 41م و42م وربما كذلك سنة 43م و44م، المهم إنه في 25 يناير سنة م كان حاكم مقاطعة موريطانيا الطنجية مقيما في مدينة وليلي هو البروكيراطور فاديوس سيلير فلافيانوس (M.Fadius Celer Flavianus Maxmus Prolégatus) و الرتبة العسكرية الخاصة Prolegat [44] التي حملها هذا الحاكم

والذي يكون ربما أول حاكم لمقاطعة موريطانيا الطنجية قد تدل على وجود عدد من فيالق جيوش الكتائب لا تزال تقيم في المقاطعة تحت قيادته، كما تدل على أن الثورات والمقاومة لا تزال قائمة.

هذا بالنسبة لموريطانيا التي أصبحت فيها الثورات مستمرة وبدون توقف منذ اغتيال بطليموس سنة 40م وقد زادت حدة عندما قرر الرومان التوسع على حساب السكان المحليين وتقسيم أراضيهم إلى مقاطعتين رومانيتين سنة 42م. أما بالنسبة لباقي أراضي بلاد المغرب فلم يبق سكانها على الحياد حيث ظهرت المقاومة في مناطق الحدود بين نوميديا وموريطانيا وكذلك في إقليم المزالمة[45]،

وهكذا فقد ظهر بوضوح أن الأقاليم التي كانت لا تزال خارج حدود السلطة الرومانية والتي حاول الرومان التوسع فيها أو الاستيلاء على أجزاء منها، قام سكانها للدفاع عنها قبل أن يستولي عليها الرومان ونظرا لخطورة الوضع، جمع الإمبراطور كلود السلطتين المدنية و العسكرية في يد حاكم مقاطعة إفريقيا البيروقنصلية البروقنصل قالبا (Galba)(44-46م أو45-47م) وربما أصبح حاكما على كامل بلاد المغرب وأسندت له مهمة إعادة الأمن والقضاء على ثورات البربر كما جاء في كتابات كل من تاسيت وسويتون[46].

ويظهر أن الرومان غيروا سياستهم في المنطقة بعد عجزهم عن إخضاع السكان بالقوة رجعوا إلى سياسة اللين والمهادنة وأكبر دليل على ذلك هو قيام البروقنصل قالبا بتشييد تمثالين في مدينة القيصرية للملكين يوبا الثاني وابنه بطليموس إلى جانب تمثال للإلهة فينوس (Venus)[47]، هذا ما يدل على أن الرومان كانوا في حاجة إلى التذكير بما قدمه هذان الملكان من خدمات ومساعدات للدولة الرومانية للقضاء على ثورة تاكفاريناس.

كما يوضح لنا هذا سياسة الحكام الرومان الاستعمارية، فكلما عجزوا عن تحقيق أغراضهم بأساليب القوة كانوا يلجأون إلى أسلوب اللين والمهادنة لكسب ثقة السكان المحليين على الأقل سكان المدن وخاصة الطبقة الأرستقراطية التي كانت تستفيد

دائما ولا يهمها سوى مصالحها الخاصة وقد حصل سكان الكثير من المدن على إمتيازات كثيرة في عهد الإمبراطور كلود من بينها المواطنة الرومانية الفردية وكذلك نالت بعض المدن التي ركز عليها الرومان اهتمامهم الخاص ترقية في السلم الهرمي للمدن. حيث أصبحت مدينة طنجة مستعمرة رومانية وكذلك مدينة ليكسوس والقيصرية وأصبحت مدينة وليلي بلدة ربما بلدة رومانية كما حصلت كل من روزوكورو(Rusuccuru) وتيبازا على حقوق البلدة اللاتينية[48].

وبنهاية عهد الإمبراطور كلود سنة 54م تنتهي محاولة من محاولات الرومان التوسعية بالفشل ويعودون إلى تركيز مشروعهم الاستعماري في المناطق الساحلية.

الهوامش :

1- محمد البشير شنيتي، سياسة الرومانية في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا 146 ق م – 40 م . الشركة الوطنية للنشر و التوزيع –الجزائر– 1982، ص: 54

2- حول هذه الحرب أنظر، محمد الهادي سعود، حرب يوغورطة للمؤرخ اللاتيني سالوست. مطبعة محمد الخامس الجامعية و الثقافية، فاس 1979

3- حول حياة هذا الأمير و ثورته أنظر:

St.GSELL , Histoire ancienne de l'Afrique du Nord , T.07 , Paris 1921-1928. P196-200.G Camps , les derniers rois Numides , Massinissa 2 et Arabion B.C.T .H.S ,1984.p 303-311

4- M .Benabou, la résistance africaine à la romanisation, Paris , 1976. p 39-40

5- محمد البشير شنيتي، المرجع السابق . ص : 64-65

6-حول حياة هذا الأمير و محاولته التحررية أنظر:

G.Camps « Arabion » ,E.B 06 . Aix en Provence 1989. p : 832 et suiv.

7- محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية و الحضارة البونيقية . دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر 1988 . ص: 136

8- عن حياة يوبا الثاني أنظر :

St. GSELL, Juba 2 savant et écrivain . R. Afr , 1927. p :168-197

9- Dion Cassius, Histoire Romaine, I ,53,26

10 -M. Benabou , op. cit. p : 55-56

11- م . روستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، الاجتماعي و الاقتصادي، ترجمة علي و محمد سليم سالم القاهرة 1957، ص : 387 – 389

12 - Dion Cassius , LV , 28,3-4
13- M.Benabou, op.cit. P 62-64
14-M. Rachet , Rome et les berbères, un problème militaire d'Auguste à Dioclétien Bruxelles 1970 p : 82-122
15- Tacite , Histoire , IV,48,3-6. Dion Cassius, LIX , 20-7 .
M. Benabou, « Proconsul et Legat, Le témoignage de Tacite » Ant. Afr. VI, 1972 P : 129-136
16- J . Mazard, Corpus nummorum Numidae Maurétaniaque, arts et métiers Graphiques, Paris , 1955 p : 121 N 375-378
17- Tacite, Anales, IV, 2
18-Suetone, Caligula, XXXVI Dion Cassius, LIX , 25
19- م _روستوفتزاف، نفس المرجع ص: 127-128
20-Ph. Ceveau, Caesareau de Maurétanie, une ville romaine, et ses campagnes, Collection de l'école française de Rome 1984. p : 16
21- Suitone, op.cit . XXXVIII, et XXXIX P. Petit, Histoire Générale de l'empire romain, Seuil, paris 1974 p :83
22- T . Kotula, Encore sur la mort de Ptolémée, roi de Maurétanie, Archéologia , 23- Pologne, 15 , 1964 p : 64-71
24-J.C. Faur, Caligula et la Maurétanie, la fin de Ptolémée, dans Klio, 55, 1973 P : 249-271
25- Ph. Le veau op. cit . p : 14
26- Tacite, Annales , III , 55
27-Pliue, HN , V,1,11 Texte établi, traduit et commenté par J. Desanges, les Belles lettres, Paris 1980
28-J. Bouliver, Domestiques et fonctionnaires sous le Haut-empire romaine , Paris 1974 , p :251
29-M . Leglay, Saturne africaine, Histoire, I, Paris 1966 p :482
30- M. Benabou, la Résistance, op. cit, p : 90
Ph. Leveau, la fin du royaume maure et les origines de la province romaine
31-De Maurétanie césarienne B. A. C . T . H . S . Paris 1984, p :312-321
32-J. Gascus, « M. Ticinius Crassus frugi, legat de Claude en Maurétanie » dans Mélanges P. Boyaucée Rome, 1974 p : 299-310
33- I.L. Afr. 634 = I.L.M. 116
34- T. Kotula, op. cit. p :64-71
35- M. Christol et J.Gascou, «Volublis, Cile fédérée ? » M.E.F.R.A. 92,1981,1, p :331
36- Dion Cassius, LX, 8,6
37- J. Desanges , op . cit . p :121-122
38- Dion Cassius, LX , 8,6
39- ibid , LX , 9,5
40-R. Cagnat, L'armée d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris 2e ed . p :26
41- Dion Cassius, LX , 24
42- Pline, H.N.V ,I, 14-16 et Dion Cassius, LX, 9 ,1
43- Dion Cassius, LX, 9,1-5
44- J. Desanges, op , cit , p :122
45- Dion Cassius, LX, 9
46- Tacite, Histoire, I,49. Suetone, Vie de Galba 7-8
47- M. Leglay, « Une dédicace à Vénus offerte à Caesarea (cherchel) par le futur empereur Galba » . Mélanges J. Carcopino , 1966 . p : 629-639
48- M . Benabou, op. cit . p : 94-95